مصطفى ندريمان

أوراق تأريخيّة كُرديّة في وثيقة عثمانية ..

طوال أربعة قرون حكمت الدولة العثمانية أراضي شاسعة تضم البلاد العربية وشمالي أفريقيا وجزءاً من أوربا وفي سني الحرب العالمية الأولى وبعدها حلّت بريطانيا وفرنسا محل الدولة العثمانية في معظم البلاد التي كانت في حوزتها في آسيا وأفريقيا . وما أن وضعت الحرب أوزارها إلاّ وكانت أراضي العراق بأكملها تحت نير الاستعمار البريطاني وفي عام ١٩٢٠ هب الشعب العراقي في ثورته الأولى لطرد المحتلين ولكن الثورة الاولى انتكست بعد أن ارغمت بريطانيا إستبدال الحكم المباشر بحكم ملكي أهلي . مؤرخون عراقيون عدة قلبوا صفحات الوثائق البريطانية وكتبوا العديد من الكتب حول الاستعباد البريطاني والفترة التي حكموا فيها أوطاننا ولكن القليل منهم إلتفتوا الى المدونات والوثائق العثمانية ، الدولة المستعمرة التي حكمت بلادنا أربعة قرون طوال تمتص دماءنا وتحول أرضنا الى صحراء قاحلة دونما التفات الى اسداء خدمات اجتماعية ، وثقافية ، وإقتصادية ولويسيرة .

وبالرغم من الفترة المظلمة التي سادت وطننا في العهد العثماني والصراع الدائر على اكتافنا بين الترك والفرس نلمس بصيصاً من الاصلاحات على يد بعض الولاة المتأخرين من أمثال (ناظم باشا ومدحت باشا) .

ولما كان الصراع محتدماً بين تلك الدولتين قامت لجنة مشتركة لتخطيط الحدود العراقية من الاحواز وهور الحويزة جنوباً الى الحدود الروسية العثمانية شمالاً وقد كان الفريق (درويش باشا) هو الشخص المخول من قبل الدولة العثمانية لانجاز هذه المهمة ، استغرقت مهمة درويش باشا اربع سنوات (١٢٦٤ – ١٢٦٨ هـ) إذ وصل الفريق المذكور إلى بلدة (أشنه – شنو) في ٤ شوال من سنة ١٢٦٨ بعد أن أنجز ما عهدت اليه من المهمات ، في سنة ١٢٦٩ للهجرة قدم درويش باشا لدولته تقريره مبيناً الوثائق والمشاهدات في الحدود وممر خطوطها والمواطن المتنازع عليها ، وفي عام ١٣٢١ تم طبع التقرير المذكور في مطبعة (أحمد احسان) باستانبول وفي كتاب يتضمن (١٧١) صفحة .

لهذا الكتاب قيمته التأريخية والجغرافية والاجتماعية نظرا لما في هذا التقرير من معلومات قيمة عن الديار الكردية والقبائل التي كانت تقطنها والاحوال الاجتماعية لها ومواطن سكناها وعن المدن والقرى والأمصار الواقعة على جانبي الحدود واكثرها ان لم يكن جلها تقع ضمن البلاد الكردية ،

يتجلى أهمية هذا الكتاب في تناوله لمجتمعنا الكردي وبلادنا الكردية قبل حوالي قرن ونصف ولتلك الفترة أهمية تأريخية نظراً لموقع بلادنا الجغرافي وللصراع المحتدم بين القوتين المتواجدتين آنذاك حول أرضنا ودور شعبها عن مصيرهم مفقود وناصية الامور كانت بيد أناس غرباء عنها وبالرغم من كل هذا وذاك فالتقرير يعطينا صورة تاريخية – جغرافية صادقة حرية بالدراسة والتعمق والتحليل من قبل الباحثين والمختصين .

في هذا العرض الموجز نقتطف ثلاث أوراق تأريخية من تلك الوثيقة العثمانية فقط مرجئين ترجمة الكتاب كله إلى مستقبل قريب ، في احدى الاوراق الثلاث ننقل ما أورده التقرير حول (قلعة دمدم) وبطلها (خانى لەپ زێرین) تلك الوقعة التأريخية التي نسج منها كتابنا وادباؤنا ملاحم وقصائد رائعة وثاني الورقتين عن قبيلة الجاف الكردية التي كانت تقطن آنذاك في اراضي شاسعة على جانبي الحدود وتكون ثقلاً ستراتيجاً في المجال السياسي بين تينك الدولتين وثالثها عن قبيلة الجلالي الكردية التي كانت تقطن في المثلث الحدودي بين الدول الثلاث (العثمانية والروسية والايرانية) وتتسع مساحة ارضها حتى تشمل مجموعة

قرىٰ من اراضي تلك الدول وكانت مصدر قلق لها ومؤهلاً للعديد من الثورات الكردية الملتهبة ضد تلك الدول في كثير من الفترات التأريخية .

سيكون تسلسل عرضنا لتلك الاوراق الثلاث موازياً مع خط سير الفريق درويش باشا أي من الجنوب والى الشمال ومنسجماً مع الكتاب المطبوع نفسه :

ألورقة الأولىٰ : ضمن الصفحات (٥٧ – ٦٢) وطي البنود (٤٥ – ٤٨) من التقرير المذكور نستعرض موجزاً عما ورد عن قبيلة الجاف في التقرير المذكور :

(تقطن قبيلة الجاف في سنجق[١] السليمانية وهي تضم أفخاذاً وبطون عدة وتبلغ زهاء أربعة آلاف أسرة وهي تتبع الدولة العثمانية منذ زمن سحيق ، ترحل قبيلة الجاف شتاءً في الاقضية والنواحي الجنوبية لسنجق السليمانية وتخرق صيفاً الحدود الايرانية – العثمانية قاصدة جهات مدينة (سنة) ، تدفع هذه القبيلة للدولة في كل عام خمسة آلاف قران[٢] حق المرعىٰ وكانت تدفع للدولة الايرانية مبالغ مماثلة ولكنها قطعت عنها تلك الرسوم منذ ثلاثين أو خمس وثلاثين سنة ، وتسير مع ركب هذه القبيلة (طائفة الگلاّلّية[٣]) التي تكون نحو خمسمائة أسرة وقطعت رسومها عن الايرانيين أيضاً أسوة بقبيلة الجاف المذكورة ، تدير هذه القبيلة الكبيرة حالياً ثلاثة أمراء يحملون اسم (محمد بگ) أقواهم وأكثرهم شكيمة هو (محمد بگ كيخسرو بگ[٤]) ويليه (محمد بگ قادر بگ) ثم (محمد بگ بن أحمد بگ) ، هذه القبيلة ضمت طوائف عديدة كانت فيما سبق في دائرة قبائل أخرىٰ كطائفة[٥] بلباس مثلاً .

أهم الطوائف الرئيسية لقبيلة الجاف هي (شاطرى ، روغزادى ، سدانى ، ميكائيلى ، نورولى ، هارونى ، يزدان بخشى ، كماله يى ، عمله ، نجم الدينى[٦] ، بلباس ، باشكى ، شيخ اسماعيلى ، صوفيوند ، جنكنى ، تيلهكور غضنضرى ، دوراجى ، كلور ، زرزويى) هذا وتبلغ الجاف نحو (٤١٠٠) أسرة (٤٥٠) منهم هم من طوائف متفرقة دخلت في اطار تلك القبيلة الكبيرة[٧] ماعدا طائفة الگلاّلّى التي تبلغ زهاء (٥٠٠) أسرة . وبمقتضى معاهدة عام (١٠٤٩) انضمت طائفتا (ضياء الدين وهاروني) من الجاف الى الدولة العثمانية نهائياً وبقيت طائفتا (بيره وزردويى) خارجتين عنها . إن طوائف الجاف كما علمنا لم تبق على اسمائها القديمة بل طرأت عليها تغييرات طبقاً لمحل سكناها والعوامل المؤثرة فيها فمثلاً إنّ المجموعات القاطنة من الجاف في (جوانرود[٨]) يدعون بالجاف الجوانروديين وهم يشكلون نحو (٦٠٠) أسرة) .

ألورقة الثانية : عن قلعة (دمدم) التأريخية وبطلها (خان لهپ زيڕين)

أورد التقرير ضمن الصفحات (٩٦ – ٩٩) وفي ثنايا البنود (٧٤ – ٧٦) معلومات هامة نوجزها فيما يلي :

(تقع قلعة دمدم ضمن ناحية مرگور التي تتبعها ست وثلاثون قرية ، يروى بأنّ أمراء مدگور كانوا يقطنون في تلك القلعة القريبة من ورمية وإنّ أقرباء حاكم ورمية قتلوا غيلة وبيد أمير خان والد كيمسنه وفي الوقت نفسه اتجه حاكم عمادية الجنوبي (مير سودين – سيف الدين) الى المدعو كيمسنه وكان سيف الدين هذا مطلوباً من العاصمة استانبول وفي الطريق واثناء توجهه الى استانبول هوجم من قبل أناس مجهولين فانبرى أمير خان بالدفاع عن الامير سيف الدين لكن المتمردين قتلوا سيف الدين وقطعت احدى يدي أمير خان ولما بلغ العاصمة استانبول نقل للسلطان الواقعة التي نجم عنها مقتل سيف الدين وبتر احدى يديه هو ويقال بأن السلطان أمر بأن يصنع لأمير خان يد من ذهب وذاع صيته بين الاكراد بخان لپ زيڕين أي خان ذي اليد الذهبية وقفل الخان المذكور عائداً الى وطنه وسكن في قرية – كانى رش – الواقعة في السفح الغربي من جبل – آودل – ضمن أراضي برادوستان التابعة لقضاء عقره وبعد فترة توجه أمير خان نحو قلعة دمدم وقتل حاكمها انتقاماً من ثأر أبيه ثم قام بتعمير قلعة دمدم ونقل المدينة اليها وحصنها ولما علم – عباس – شاه ايران بذلك شن حملة واسعة ضده ولم يتمكن

أمير خان من صدها فالتجأ الى السلطان سليم الذي جهز حملة مضادة فاسترد القلعة والمنطقة وحكمها حوالي سبع سنوات وبعد وفاة السلطان سليم أعاد العجم الكرة على المنطقة تارة أخرى وتوجه ابن أمير خان الى استانبول ودفع له من خزينة ديار بكر ألف قطعة من ذهب ومقاطعتين – مرگور وترگور – لاستغلالها للزراعة وبعد سنوات استولى سلاطين آل عثمان على مدينة تبريز وكان في معيتهم أحد من أولاد أمير خان وبعد الانتصار على الفرس اقتطعت له مقاطعتي (برادوست سروو صماى) ولما وقعت منطقة تبريز في ايدي العدو الفارسي ضعفت شكيمة اولئك الامراء وفي عهد فتح علي شاه الفارسي كانوا يدفعون له الضرائب دونما الانخراط في العسكرية وقد نقل لي تلك الوقائع التأريخية المار ذكرها السلطان أيوب أخ السلطان أحمد حاكم مرگور وأبرز لي وثائق تثبيت تبعية تلك المنطقة للدولة العليا العثمانية) .

ألورقة الثالثة : عن موطن قبيلة الجلالي الكردية والطوائف المرتبطة بها والمكونة اياها ومحل تواجدها وعن القبائل الكردية الأخرى المتواجدة في المثلث الحدودي بين الدول الثلاث .

(يرد التقرير عن الجلالية وفروعها وتقسيماتها الادارية ما يلي :

الجلالية

مجموع أسرها في :

	الدولة العثمانية	الدولة الصفوية	روسيا
١ – فرقة خالكان	٢٥٠	٢٦٠	٠٤٠
٢ – فرقة ساكان	٢٣٠	٢٠٠	٠٥٠
٣ – فرقة بلخيكى	٢٥٠	١٥٠	١٦٠
٤ – فرقة مصركان	٠٣٠	١١٠	٠٢٠
٥ – فرقة جنوكى	٢٠٠	٠٠٠	٠٠٠

إنّ اكثر الفرق الجلالية تقطن ضمن حدود الدولة العثمانية وفي سنجقي قارص وأردهان وفي ايران تسكن في منطقة – ماكو وخوى – وفي روسيا تسكن في منطقة – راوان – وجميعهم رحالة يطلبون الكلأ شتاءً وصيفا إذ لهم مشتاهم و مرائع صيفهم دونما الاهتمام بالحدود الدولية .

وبمقتضى معاهدة عام الف ومائتين وثمان وثلاثين ذكرت قبائل أخرى ضمن الحدود العثمانية كقبيلتي (حيدران و سبك) وقد نصت تلك المعاهدة على جواز عبور القبيلتين الحدود الى الدولة المجاورة ولكن لاحق لهما بالعودة تارة أخرى ولذا ظلت القبيلتان تابعتين للدولة السنية دونما خرق للحدود .

أما عشيرة (زيلان) الكردية فانها لم تستقر في احدى الدول الثلاث لفترة طويلة بل كانت تخرق الحدود وتثير المشاكل وقد نفي رؤساءها من قبل الفرس الى لورستان وبعدها آثرت تلك القبيلة الاستيطان في الدولة العثمانية واتخذت منطقته (قاغزمان) موطناً نهائياً لها . وقد ظلت عشيرة الجلالية تغدو وتجول بين الدولتين لفترة غير قصيرة ولكنها وبعد عام (١٢٣٥) للهجرة استقرت نهائياً في الدولة العثمانية وتم تسجيل افرادها في سجلات أرضروم .) تلك كانت فذكلة موجزة عن تلك القبائل الحدودية الواقعة في أقصى المثلث الحدودي ومدرجة في الصفحات (١٦٠ – ١٦٤) من التقرير الآنف الذكر .

الهوامش :

١ – سنجق -- وحدة ادارية تتوسط الولاية والقضاء يديرها (المتصرف) وترتبط بها مجموعة من الأقضية .

٢ – قران – عملة ايرانية تساوي نحو أربع آنات أي حوالي عشرين فلساً .

٣ – الگلاّليّة – إحدى بطون قبيلة الجاف الحالية وتشتهر بشدة بأسها وتعتبر من الفرق الغربية عن الجاف (غەواره) والتي اندمجت معها بمرور السنين ، ويقال بأن هنالك صلة قربى بين الگلاّليّة والجلالية .

٤ – محمد كيخسرو بك – هو (محمد باشا المعروف) الرئيس الأعلى للجاف وكان (محمد بك بن قادر بك) رئيس فرقة بارام بكى من البكزاده الجاف أما (محمد بگ بن أحمد بگ) فكان رئيساً لفرقة ولد بگى من البكزاده أيضاً .

٥ – أورد التقرير لفظتي (عشيرة) و (طائفة) فاستعمل لفظة العشيرة للعشيرة بوجه عام أما لفظة (الطائفة) فاستعملها مقابل (البطن) أي البطون المتفرقة من العشيرة وهذا وتقسم البطون الى أفخاذ أيضاً .

٦ – نجم الدين – هو الاسم المعرب لفرقة (نەژوينى) من الجاف .

٧ – الطوائف التي ضمتها القبيلة اليها هي (الگلاّليّة ، گلور ، بلباس) وهي فروع من قبائل ظلت في مناطقها الاصلية .

٨ – جوانرود – ويدعى في اللغة الكردية بـ (جوانرۆ) .